خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٣

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِك يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ذكرتُ في الخطبة الماضية، مستفيدا من خطبة الخليفة الثاني ﷺ، عائقين يعرقلان سبيل إصلاح الأعمال، وسأذكر اليوم بقية العوائق التي تحول دون إصلاح الأعمال.

العائق الثالث في سبيل إصلاح الأعمال هو: "اهتمام المرء بالأمور الطارئة والقريبة زمنا". إن الأمور المتعلقة بالمعتقدات هي بعيدة عن الأنظار عموما، ومعظمها يتعلق بالحياة بعد الممات فنُطلق عليها "آجلة" عادة. فكما قلت إن الأمور المتعلقة بالحالة العملية تكون ذات صبغة فورية فيظن الإنسان بوجه عام أنه لو ارتكب عملا سيئا لن يتأثر به اعتقاده بوحدانية الله. فمثلا يظن الصواغ أنه لو زيّف الذهبَ لن يتضرر اعتقاده بوحدانية الله، ومن ناحية أخرى سوف يزداد دخله وسينال مقابل ذلك مبلغا أكبر. وهذا يعني أنه اختار، نظرا إلى منفعة قريبة، طريقا لا ينمّ عن انحطاط أخلاقي فقط بل هو سرقة وخديعة أيضا. فقد ارتكب عملا سيئا وحسب أن اعتقاده لن يتضرر بسببه شيئا ولا علاقة لعمله باعتقاده. لقد رأينا كثيرا من الحجاج يقومون بخديعات كبيرة في التجارة ومن ناحية أخرى يعتزون بكونهم حجيجا، ولكنهم ينسون عند قيامهم بالخديعة أو لا يدركون أن هناك حياة بعد الممات أيضا وأن الأعمال التي يكسبونها في الحياة الدنيوية تؤثر في حياتهم الأخروية. كذلك لا يهتمون مثلا بأن العمل بتعليم جاء به النبي ﷺ مفيد للإنسان، ولا يتنبّهون إلى: مَن سينال النجاة؟ فيرون مثل هذه الأمور بعيدة فتسيطر المنفعة الفورية أو السكينة الفورية على أذهانهم. لهذا السبب يزيّف الصواغُ الذهبَ أو ينقصون

وزن الفضة عند الميزان. وكذلك يخلط تاجر الغلال أشياء أخرى في غلاله. ثم هناك صاحب المصنع، فإنه يُري عند عقد الصفقة مع أحد سلعةً ويرسل له سلعةً دون المستوى المطلوب، وهذه الظاهرة منتشرة في بلاد العالم الثالث بوجه عام.

فالحاجات الدنيوية تُعرقل سبيل إصلاح أعمال المرء، ويُنسيه الكذبُ والخديعةُ والزيفُ والمنافعُ القريبةُ الخسارةَ البعيدة. لقد ضرب المصلح الموعود ﷺ بعض الأمثلة في هذا المجال منها الغيبة مثلا وهي ذنب كبير. فمثلا إذا كان هناك مسئول يؤذي العامل تحته ويظلمه دون أن يستيطع العامل تحته أن يفعل شيئا، ثم يقابل هذا العاملُ صدفة مسئولا أعلى من المسئول عليه مباشرة فيقول المسئول الأعلى ضد الأدنى شيئا فيسر هذا العامل الذي كان يعاني من سلوك المسئول عليه المباشر ويقول في نفسه: لقد وجدتُ فرصة كنت أنتظرها. فيقول أشياء كثيرة ضد مسئوله الذي آذاه، ويبين عيوبه ليغضب عليه المسئول الأعلى، ويَذكُر أمامَه كل ما كان في جعبته سواء أكان صحيحا أم خطأ بغية الانتقام. فيظن في هذه الحالة أنه لو لم يغتب منتهزا الفرصة لن يزول الخطر من على نفسه وماله، فيغتاب دون وازع ورادع وينال فائدة هذه الأدنى. إذًا، الإنسان يرتكب السيئات للحصول على منافع دنيوية مؤقتة.

العائق الرابع في سبيل إصلاح الأعمال هو أن للأعمال علاقة مع العادات الراسخة. والعادات تتسبب في نشوء نقاط الضعف في الناس وخاصة عندما لا يكون الدين حائزا على سلطة أو حكومة دنيوية. بمعنى أن بعض الأعمال يتم إصلاحها بسبب سلطة الحكومة. ومن المؤسف حقا أن ما يصفه الإسلام بالانحطاط الخُلقي ويوجّه الأنظار إلى تقويمه لا يتم إصلاحه بسبب فقدان العدل في البلاد الإسلامية وبسبب الازدواجية. فإن حالة البلاد الإسلامية أيضا تبعث على القلق على الرغم من وجود الحكومة الإسلامية. كذلك هناك أمور جديرة بالإصلاح في بلاد غير إسلامية مع أن أصحابها لا يرونها سوء العمل ولا انحطاطا أخلاقيا لذلك لا تُصلح الأمور على صعيد عملي.

باختصار، للحكومة دور ملحوظ في إصلاح الأعمال. حيثما كان الدين والحكومة متفقان على تعريف واحد لإصلاح الأعمال ويتم الإصلاح عمليا بحسبه يمكن القضاء على العادات بقوة القانون، ولكن حيثما لا يقدر قانون الحكومة على الإسهام في الإصلاح العملي يتعذر تغيير العادات بل يصبح الضعف في الأعمال ناسورا في المجتمع. كما نرى كثيرا من المساوئ منتشرة في بلاد متقدمة باسم الحرية. وأضف إلى ذلك أن هذه المساوئ تُنشر في هذه الأيام في كل مكان في العالم بواسطة الوسائل الالكترونية. والذين يعشيون في مثل هذه البيئة وهم جزء منها قد اتخذوا تلك المساوئ عادة لهم نتيجة الخوض فيها. ونرى هذه المساوئ تتطرق إلى بعض الصغار أو الشباب رجال ونساء قصدا منهم تارة وعلى حين غرة منهم تارة أخرى. وعندما تترسخ فيهم هذه العادات يتعذر عليهم تركها. خذوا تعاطي المخدرات مثلا، فإذا ترسخت هذه العادة تعذر التخلص منها. يمكن للمرء أن يقوم بتضحية عقدية فيؤمن بإله واحد بدلا من ثلاثة آلهة. ولكن لن يحدث أن يؤمن المرء بإله واحد اليوم ثم

تخطر بباله فكرة ثلاثة آلهة غدا، أما المدمن على المخدرات فيودّ حتما أن يحصل على مادة مخدرة كل يوم. يمكن للإنسان أن يتخلى عن اعتقاد كان متمسكا به على مدى الحياة ولكن المخدرات التي أدمن عليها منذ بضعة أشهر أو أعوام تسبب له قلقا كبيرا إن لم يجدها لبعض الوقت. كان هناك بعض المدمنين على التدخين الذين دخلوا جماعتنا تاركين أقاربهم وإخوتهم وأخواتهم، وفي بعض الحالات آباءهم وأهلهم وأولادهم أيضا، أي قاموا بهذه التضحية وانضموا إلى الجماعة ولكن إذا طُلب منهم أن يقلعوا عن التدخين قدموا ألاف الأعذار، فيقول بعضهم إن بطنهم ينتفخ إن لم يدخّنوا، ويقول آخرون أن النوم لا يكتحل عيونهم إن لم يتناولوا عقارا، ويقول غيرهم أن قوتهم على التفكير تنهار بدونها، وبالتالي يهيمون هنا وهناك مضطربين. وهذا لا يخص الذين دخلوا الأحمدية فقط بل هناك أناس يكسبون أعمالا صالحة ويقدمون تضحيات ملحوظة ولكن لا يستطيعون أن يقلعوا عن عادة سيئة بسيطة.

لقد سجّل المصلح الموعود ﷺ حادثا فقال بأن أحد أعمامه كان ملحدا لا يؤمن بأي دين، وكان مدمنا على تدخين النرجيلة. كان الناس يأتون لزيارة المسيح الموعود ﷺ وكان منهم من كان متعودا على التدخين ولكنهم ما كانوا يجدون النرجيلة عند المسيح الموعود فكانوا يذهبون إلى هذا المذكور الذي كان من عمومة المصلح الموعود ﷺ لأن النرجيلة كانت متيسرة لديه دائما، وكان يتعاطى مخدرات أخرى أيضا. فالذين كانوا يذهبون إلى عنده من أجل التدخين كانوا يضطرون أحيانا ليسمعوا منه كلاما غير لائق. يقول المصلح الموعود أن الخليفة الأول سأل هذا الشخص المذكور ذات مرة: هل صلّيت في حياتك ولو مرة واحدة؟ (هكذا كانت حالته الدينية) قال: من طبيعتي منذ الصغر أنني كلما أرى شخصا خافضا رأسه لا أتمالك نفسي من الضحك. أي كان من عادته أن يسخر ممن يراه يصلي ويسجد. يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بأن الإخوة كانوا يذهبون إليه بسبب عادتهم على التدخين، فكانوا يضطرون أحيانا أن يسمعوا كلاما ضد الإسلام والجماعة. ذهب إليه أحد الإخوة ذات مرة ثم خرج بعد هنيهة وهو يسبّ نفسَه. سأله أحد: ما بك؟ قال: لقد أكرهتْني نفسي بسبب عادة التدخين على سماع ما لا أتحمل سماعه في الحالات العادية.

إذًا، هناك بعض العادات التي تُخزي الإنسان. بعض الناس يكونون معتادين على الكذب ولا يرتدعون عنه مهما نصحتموهم وراقبتموهم، فيتعذر إصلاحهم. ولكن هذا لا يعني أن الإصلاح مستحيل تماما. فإذا كان الإصلاح مستحيلا فلا معنى للنصيحة أصلا، بينما يأمر الله تعالى بالنصح لذا أُسدي النصائح إلى أفراد الجماعة في الخطب دائما. فإذا كان رمق الإيمان باقيا في الإنسان تفيده النصيحة حتما لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٦).

كان هناك شخص متعودا على كيل السباب فكان يكيلها دائما وفي كل حديث من أحاديثه، وفي بعض الأحيان ما كان يُدرك أنه يسبُّ. وذات مرة قدِّمت الشكوى ضده أمام المصلح الموعود ﷺ فاستدعاه حضرته وقال: سمعتُ أنك متعود على الشتائم. فكال شتيمة سيئة وقال: من يقول بأني أشتم؟

فحين يتعود الإنسان على شيء لا يشعر بما يقول، ويئول مآل البعض بحيث يفقدون الإحساس بسبب العادة لكنه إذا حاول الإنسان وبذَل المساعي استطاع أن يستعيد الأحاسيس المفقودة المنتهية، إذ يمكن إصلاحُها.

باختصار إن للعادة دخلا كبيرا في عرقلة عملية الإصلاح العملي. في هذه الأيام نلاحظ ولعا كبيرا بمشاهدة الأفلام الخليعة من الانترنت، وقد أدمن عليها البعض لدرجة لا يبالون الطعام ولا يكادون يبرحون الانترنت أو التلفاز، فهم ينعسون أحيانا ولا يفارقون الانترنت أو التلفاز. فهؤلاء الناس لا يهتمون بالزوجة ولا الأولاد. فهذه العادات تؤدي دورا كبيرا في وضْع العقبات في طريق الإصلاح العملي.

العائق الخامس في الإصلاح العملي هو الزوجة والأولاد أيضا، فهم يعترضون عقبةً في تحقُّق الإصلاح العملي، فمعاناة زوجة الإنسان وأولادِه تصيبه أحيانا بابتلاء عمليا. فمثلا قد نهى الإسلام عن أكل أموال الناس. فإذا كان أحد قد أودع النقود أمانة عند أحد ولا يكون لها أي شاهد أو إثبات، فالذي اؤتُمن تفسد نيتُه أحيانا بسبب احتياجات زوجته وأولاده ويخطر بباله أن زوجته كانت قد طلبت منه مبلغا و لم يكن يملك النقود فلم يستطع أن يعطيها، أو كان أحد أولاده قد طلب منه مبلغا معينا، و لم يستطع أن يقدمه له، فالآن سنحت له الفرصة، ويستطيع أن يهضم هذا المبلغ ليقضي حاجات أهل بيته. أو إذا كان أحد أولاده مريضا و لم يكن لديه مالٌ فيفكر في أن يصرف من هذا المال على علاج ابنه وبعد ذلك سيرى هل يعيد الأمانة أم لا، أو يغصب مال أحد لتحقيق هدف معين لأحد أفراد البيت. فكل ذلك ينافي تعليم الإسلام عن الأمانة، إذ قد علَّم الإسلام أنه إذا أودع لديكم أحدٌ أمانةً فلا بد من إعادتها في كل حال، سواء كان عليها شهودٌ وإثبات أم لا. أحيانا يغصب الناس أموال اليتامى غيرِ البالغين أو يُلحقون بهم ضررا، لمصالح أولادهم وشراء العقار لهم. ولا يتوقف الأمر عند المعاملات المالية فقط فهذه الأمثلة لا تتعلق بالمال فقط. بل يظهر من بعض الوالدين عادةً –في هذه البلاد الراقية الحرة خاصة وفي البلاد الفقيرة أيضا– عدمُ الاهتمام بتقييد الأولاد بالعمل بتعاليم الإسلام بدافع الدلال. فهذه الأمور التي أبينها تظهر مع الأسف في مجتمعنا الأحمدي أيضا بين حين وآخر. فبعضهم أكل أمانة غيره وبعضهم خدع أحدا آخر في مجال آخر، وبعضهم لم يُعد أموال اليتيم كما يجب. ففي دار القضاء ترفع بعض القضايا من هذا القبيل، حيث بعض المقيمين في هذه البلاد الغنية يزوِّجون بناتهم في باكستان ويقولون لأصهارهم في أول يوم من الزواج لقد ربيتُ ابنتي بمنتهى اللطف والدلال فهي تتمتع بحرية مطلقة فلا تفرض عليها أي قيد، ومن ثم يفسد دماغ البنت بتشجيع الوالد فلا تكيل للزوج أي أهمية ولا تحترمه، مع أن الإسلام يأمر الزوجة بأن تؤدي حقوق الزوج، وتؤدي واجبات البيت، فهو من فرائضها. وأحيانا يجلبون الزوجات من باكستان ويمارسون المظالم والاعتداءات على البنت باستمرار، ويقول والدا الشاب أن على البنت أن تتحمل كل شيء، فالشباب يتصرفون هكذا. فتدليل الوالدين أولادَهم يُفسد الحالة العملية للوالدين من ناحية ويدمر البيوت أيضا من ناحية أخرى. فالأمثلة كثيرة لظهور العوائق في الإصلاح العملي بسبب الزوجة والأولاد. فالأعمال الكثيرة تُظهر ضعف الإنسان، حيث يواجه عائقا بسبب حبه للزوجة والأولاد أو حرصه على قضاء حاجاتهم، إذ يمنعه حبُ

الزوجة والأولاد من الأعمال الحسنة. فالوالدان يُدلون بشهادات مزيفة بحق الأولاد بدافع دلال الأولاد. فهذا المرض سائد في بلاد العالم الثالث حيث يأخذ المسئولون الرشوة، فهم لا يرتشون لصالحهم الشخصي بل لشراء العقارات لأولادهم. أو لتسجيلهم في المدارس الغالية، فالعواطف أو القرابات التي تثير العواطفَ تعيق إصلاح أعمال الإنسان، ويمكن إصلاحها حين يبلغ حبُ الله مبلغا يكون حب الزوجة والأولاد والعواطف مقابله بسيطًا هينا. ويتحرر الإنسان نهائيا من تأثيرها، وإن لم يحدث ذلك تعذر الإصلاح العملي.

العائق السادس في الإصلاح العملي هو عدم مراقبة الإنسان المستمرة لنفسه، أي لا بد أن يهتم الإنسان بالعمل كل حين وآن، عندها يتحقق الإصلاح العملي، فعند إحراز كل عمل هناك حاجة لأن يفكر الإنسان هل لهذا العمل نتائج حسنة أم لا، وهل هذا العمل مسموح له أم لا، وهل هو يراعي قول المسيح الموعود عليه السلام ويعمل بحسبه أم لا عندما قال عليه السلام: استجيبوا لسبعمائة أمرٍ للقرآن الكريم، فهل هو يبتعد عنها أم لا. فالعمل بإخلاص وأمانة أمرٌ مهم، فصاحب المحل أيضا مأمور به والعامل البسيط أيضا أحيانا مأمور به. وكل إنسان مأمور بأن يكون أمينا ومخلصا في نطاق عمله. فصاحب المحل يواجه هذا الأمر مرارا حيث يأتيه الزبون الذي لا يعرفه فيعطيه الطلبَ إما من مستوى ناقص أو يقبِض منه أكثر من سعره المحدد. فهذا العيب كما قلت سابقا قليل في هذه البلاد الغنية لكنه في البلاد الفقيرة متفشٍّ بكثرة، فيخطر ببال البعض عند بيع شيء معين أن يستغل قلة معرفة الزبون، ويفكر البائع الآخر أنه لو باع كلَّ زبون سلعة منقوصة بمقدار كذا لاكتسب كذا من الأرباح حتى المساء. فأحيانا يستغل البائع الوضع الحرج للزبون أو حاجته القصوى فيتقاضى أضعاف الربح، وهذا ينافي قواعد التجارة العامة أما الإسلام فيعارضه بشدة. فبخصوص الربح أود أن أقول أيضا أن المصلح الموعود رضي الله عنه كان قد نصح أصحاب المحلات عندما تأسست مدينة ربوة، أنهم إذا أخذوا الربح القليل فسوف يأتيهم زبائن أكثر، أما أنا فتصلني الشكاوى أن الأشياء غالية جدا في ربوة فالناس يُضطرون للذهاب إلى مدينة تشنيوت للتسوق. أي تنتقل أموال الأحمديين إلى الأغيار بدلا من الأحمديين، ومسئوليته تقع على بائعي ربوة، فيجب أن يفكِّر في ذلك أيضا الباعةُ الأحمديون ويسعوا لإصلاحه، فالقضية لا تنحصر في ربوة فقط بل ينبغي أن يكون مستوى البائع الأحمدي رفيعا حيثما كان في العالم كله. يجب أن تكون موازينهم كاملة، وإذا كان هناك نقص في المَبيع فيجب إطلاعُ الزبائن على ذلك، والأرباح يجب أن تكون مناسبة وقليلة، فبسبب ذلك تزدهر التجارة وتتبارك ولا تبور، ومثل ذلك كل أحمدي بحاجة إلى إبراز جمال أمانته في كل مجال، وذلك يتطلب ترديد هذا الحكم -الذي قرأتُه عليكم آنفا- كل حين وآن، عندها يمكن إصلاح الأعمال. يجب أن تردِّدوا دوما أن هذه الأمور ضرورية لإحراز إصلاح الأعمال. ومثل ذلك هناك سيئات أخرى مثل الكذب. فعند النطق بأي قول هناك حاجة للاهتمام بأن لا يكون أي نوع من الكذب في كلامكم.

ومثال ذلك عدم مبالاة أصحاب المحلات أيضا حيث يتوجه أحدهم وقت الصلاة إلى المسجد ويخطر ببال الثاني أن يُبقي المحل مفتوحا لكي يكسب الزبائن الذين يأتون أثناء وقت الصلاة. فمن ناحية يستعد المهتمون

بالحسنات للصلاة، ومن ناحية ثانية يفكر الآخرون الذين يُهمهم كسب المال فقط في كسب الأرباح المادية مهملين الصلاة. فبدلا من أن يفكروا في إحراز الأعمال الحسنة ينظرون قبل بدء كل عمل إلى الفوائد المادية فيفكرون فيها. أود أن أقول عن أصحاب المحلات في ربوة مرة أخرى، أنه وصلتني الشكوى في ما سبق أنهم لا يُغلقون المحلات وقت الصلاة، فالآن وصل التقرير عنهم أنهم جميعا قالوا إنهم الآن سيغلقون المحلات وقت الصلاة إن شاء الله. وفَّقهم الله للعمل بهذا، وكذلك أصحاب المحلات في قاديان أيضا، ففي هذه الأيام ازدحام الناس هناك بسبب الجلسة، فهم أيضا بحاجة إلى الاهتمام بفرائضهم، وإذا كان الزبائن قد جاءوا من الخارج فهذا لا يعني أن ينسَوا فرائضهم. يجب أن يُغلقوا محلاتهم في أوقات الصلاة حتما، بل يجب على كل أحمدي حيثما كان في العالم أن يولي فرائضه اهتماما ملحوظا، فمَثل الاهتمام المتكرر بالأعمال كمثل من يركب حصانا مسرعا فإن لم يكن حذِرا في الجلوس على صهوته فسوف يُسقطه الحصانُ. فالمؤمن أيضا بحاجة إلى أن يراقب أعماله كل حين وآن، فلو غفل لحظة و لم يحذر لتردَّى عن مستوى إيمانه ولن يتحقق إصلاحه. فكل واحد يمكن أن يخطوَ خطوة صحيحة إلى الإصلاح العملي إذا اهتم دوما بكل قضية، فحين يميل الإنسان إلى السيئات ينغمس فيها. فكأن المرء حين يراقب أعماله ليجتنب السيئات ينشأ له حجابٌ ثم عندما يزول ذلك الحجاب تستولي عليه سيئات واحدة تلو أخرى. هنا أود أن أقدم مثالا للنساء أيضا، وهو حالة الاحتجاب والاحتشام، عندما تزول هذه الحالةُ مرة يستفحل الأمر كثيرا. لقد عرفت في أستراليا أن بعض الكبيرات في السن اللاتي كن جئن حديثا إلى هناك عند أولادهن أَمرنَ بناتهن اللاتي لم يكنّ يتحجَّبن بالحجاب، وإن أبين الحجاب فعلى الأقل عليهن أن يلبسن اللباس المحتشم ويرتدين وشاحا، فقالت لهن بناتُهن اللاتي من الصنف السافر من النساء: إن الحجاب هنا جريمة كبيرة والأفضل أن تتخلين أنتن أيضا عن الحجاب. فأخيرا تركت أولئك اللاتي أيضا كنَّ قد أَمرن بالحجاب خوفا من القانون. مع أنهن كن متحجبات طول الحياة، والحقيقة أنه لا يوجد هناك أي قانون يمنع الحجاب، ولا أحد يهتم بهذا الأمر، وإنما بعض الشابات تخلَّين عن الحجاب اتباعا للموضة. فقد كتبتْ إلي فتاة جاءت إلى هناك من باكستان بعد الزواج من شاب هناك، إنها هي الأخرى قد فُرض عليها ترك الحجاب تحت الضغط، أو كانت قد تأثرت بالمحيط فتركت الحجاب. فكتبتْ: عندما ألقيتَ الخطاب في النساء أثناء الجولة في أستراليا حول الحجاب كنتُ مرتدية الحجاب، وما زلت أتمسك برداء الحجاب وأسعى وأدعو الله أن يوفقني للتمسك بهذه العادة. كما طلبتْ مني أيضا الدعاء. فترك عادة الحجاب ناجم عن عدم ذكر هذا الأمر القرآني مرارا ولأن هذا الموضوع لا يُتناول في البيوت. فالإصلاح العملي يتطلب الذكر المتكرر للحسنة والسيئة.

والعائق السابع في إصلاح الأعمال هو أن العلاقات والتصرفات الإنسانية تستولي على المرء وتتضاءل خشية الله، ففي أحيان كثيرة لا يَسمح الطمع -وعلاقاتُ الصداقة والقرابات والخصومة والبغض والحقد- للجوانب الحسنة من الأعمال بالبروز. فمثلا قد قدمت مثال الأمانة وأكرره أن الإنسان لا ينظر إلى الأمانة لأن الله قد أمر بها وإنما يراعي لأي مدى يؤثِّر تمسُّكُه بالأمانة في مناسبة معينة في أصدقائه أو أعدائه، ومثل ذلك لا ينظر إلى

الصدق من وجهة نظر الأمر الإلهي بل ينظر إلى الصدق ويفحص هل سيتضرر أصدقاؤه وأقاربه أم لا إذا تمسك بالصدق. كما أن الإنسان يشهد على غيره لأنه كان قد ألحق الضرر به في الماضي، ويقول في نفسه: اليوم فرصة سانحة للانتقام فيشهد ضده. فالضعف يصيب الأعمالَ لفقدان خشية الله. أما أنتم فيجب أن تؤْثروا الصدق على كل شيء واضعين في الحسبان الأمرَ الإلهي بأن تكونوا ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٦).

العائق الثامن في الإصلاح العملي يتمثل في عدم إصلاح أفراد العائلة كلهم إذ يتعذر إصلاح الأعمال ما لم يتحقق إصلاح العائلة كلها، فمثلا لا تكتمل الأمانة أو لا تبقى على مستواها المطلوب ما لم تتعاون الزوجة والأولاد أيضا، فمهما كان ربُّ البيت حريصا على كسب الحلال لكن إذا كانت زوجته تغصب حقوق الجيران أو تضرهم بطريقة أخرى، أو تسعى لغصب المال، أو كان ابنُه يجلب إلى البيت أموالَ الرشوة، فلا يبقى كسْبُ ذلك البيت حلالا، وخاصة في العائلات التي يعيش فيها الجميع معا حيث يكون نظام موحد للعائلة الكبيرة، ومثل ذلك أعمال أخرى. فما دام جميع أفراد العائلة لا يسعون معا لتحسين الأعمال فسوف يتأثر بعضهم بالآخر في حين من الأحيان. إذا كانت الزوجة صالحة ولا يكسب زوجُها رزقا حلالا فيتأثر البيتُ، مثل ذلك إذا كان الوالد مهتما بالصلوات لكنه لا ينصح الأولاد بذلك أو إذا كان الوالد ينصحهم بها وكانت الوالدةُ تهملها، أو كانت الأمُّ تلفت انتباه الأولاد إلى الصلاة والوالدُ غافل عنها، فالأولاد سيقلدونه. ففي الخطبة الماضية تناولتُ بعض الأمثلة من هذا القبيل. يقول الله في القرآن الكريم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي لا تكتفوا بوقاية أنفسكم نارًا بل أنقذوا أهلكم أيضا نارَ جهنم، فلا يكفي اتقاؤكم نارَ جهنم بل وقاية الآخرين أيضا واجبة عليكم.

وإن لم تُنقذوا الآخرين فسيغرقونكم يوما من الأيام. فهناك حاجة لإصلاح البيت كله، ومن واجب الجميع أن يسعوا لذلك جاهدين. ولربِّ البيت دور كبير في موضوع الإصلاح. إن الغفلة من ناحية الأهلِ والأولادِ والظنَ أنهم قد يتأذون بذلك أو تدليلهم والتودّدَ لهم ومداعبتهم غير الضرورية تصبح عائقا في إصلاحهم في كثير من الأحيان.

قد تكون هناك عوائق أخرى أيضا في سبيل إصلاح الأعمال إضافة إلى العوائق الثمانية التي ذكرتها، غير أن تلك المذكورة هي أهمها. ولكن إذا تأملنا في الموضوع لوجدنا أن العوائق التي ذكرتها تشمل جميع العوائق الأخرى أيضا. على أية حال، هناك عوائق في سبيل الإصلاح التي تؤدي بالمرء إلى الانحراف عن الطريق السليم وتُبعده من الله تعالى. وإن أردنا أن نصلح أعمالنا فلا بد لنا من الانتباه إلى هذا الموضوع بجدية. القول باللسان لا يكفي للإصلاح بل هناك حاجة إلى السلوك على سبل تضمن الإصلاح.

لقد ضرب المصلح الموعود ﷺ مَثلا وقال بأنه كان هناك محاضر معروف في أوروبا وكانت محاضراته رائعة دائما ولكنه كان يحرك كتفيه بشدة أثناء المحاضرة. قال له بعض الناس بأن محاضراتك رائعة دائما ولكن تحريكك

الكتفين يبعث الناس على الضحك. حاوَل المحاضر الإقلاع عن هذه العادة ولكن لم ينجح، وفي الأخير بدأ إصلاح هذا العيب بطريقة عجيبة إذ علّق سيفين في سقف الغرفة ليبلغا مستوى كتفيه، فكان يقوم تحت السيفين ليلقي المحاضرة. وكلما حرَك كتفيه أصابه السيفان يمينا ويسارا. فبعد الجهد والسعي لبضعة أيام تلاشت عادته هذه. فللتعوُّد على أعمال صالحة هناك حاجة لاختيار مثل هذه المواقف التي تكره الإنسان على الإقلاع عن العادات السيئة وتوجّهه إلى كسب الأعمال الصالحة. وهذا الأمر يقتضي السعي والجهد من الجميع، ويقتضي الجهد من كل بيت ومن كل فرد في البيت، وهذا لا يمكن أن يتأتّى دون التضحية. ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون تحمل المشاق في سبيل ترك السيئات إذا تطلب الأمر. فيجب على كل فرد من أفراد الجماعة أن يحاسب نفسه ويكون على استعداد لتقديم التضحيات والعزمِ الصميم، وإلا لن ننجح في تحقيق هدفنا، نعم ذلك هو الهدف العظيم الذي بُعث المسيح الموعود عليه السلام من أجله وهو إصلاح معتقداتنا وأعمالنا وبلوغنا إلى مستوى لا يسع أحدا بعده أن يشير إلينا بإصبع. فمما لا شك فيه – كما قلت في الخطب الماضية أيضا– أننا أحرزنا نجاحا عظيما في مجال العقائد لدرجة أن المعتقدات التي كانت الجماعة الإسلامية الأحمدية تقدمها فيما سبق وكان المعارضون يعترضون عليها قد بدأ المعارضون أنفسهم يعترفون اليوم بصدقها. هناك من المسلمين من يقول بأن عيسى عليه السلام لم يصعد إلى السماء ولن ينـــزل منها ولا مبرر لهذا القول أو قبوله. أي أن معتقدات الجماعة تُفحمهم وتقنعهم دون أن يشعروا. أما الجهاد فقد أدلى بعض من كبار المشايخ ببياناتهم أن ما يحدث اليوم باسم الجهاد ليس إلا إرهابا، والجهادُ بالسيف لا يجوز في هذه الأيام ولا يسمح به الإسلام. إذًا، مهما قدّموا من الأدلة على موقفهم هذا ولكن الحقيقة أن تعليم الأحمدية هو الذي يؤثر فيهم.

ولكننا عندما ننظر إلى الأعمال فنجد أن هناك تقصيرا ونقصا في هذا المجال، ولم تتولد فينا إلى اليوم روحٌ نتمكن بناء عليها من تقديم قدوتنا أمام العالم كي لا يسع أحدا بعد ذلك من التسليم بأفضلية جماعتنا. إننا لا نعمل بحسب ذلك التعليم كما هو حقه وكما أمرنا به الإسلام. بل هناك كثير منا ممن يقلّدون الآخرين في سفاسف الأمور ويميلون إليهم، وبدلا من أن نُميل الآخرين بعملنا إلى أن يتّبعونا يبدأ البعض بتقليد الآخرين كما ضربتُ بعض الأمثلة قبل قليل. وفي بعض الأحيان نواجه الخجل والندم عند إمعان النظر في أعمال الناس.

فنحن بحاجة ماسة لنحزر النجاح في مجال العمل أيضا، وهناك حاجة ألا نضيع الماء الذي حظينا ببركاته في هذا العصر بل يجب أن نحتفظ به في القنوات التي تلعب دورا بارزا في ريّ الأراضي، وينبغي ألا نترك هذا الماء يضيع بجريانه هنا وهناك. علينا أن نحدد حدودنا ويجب أن نفرض على أنفسنا بعض القيود من أجل إصلاح الأعمال، عندها فقط نستطيع أن نفوز بمرامنا. لا شك أننا قدمنا تضحيات الحياة والمال والوقت وما زلنا نقدمها لتقوية جدران المعتقدات، ولكننا لم ننتبه إلى تقوية جدران الأعمال كما يجب.

لقد بيّن المصلح الموعود ﷺ هذا الموضوع بكل روعة وبكلمات وجيزة وقال بأننا أقمنا جدارينِ للمعتقدات و لم نُقم جدارينِ للأعمال فيأتي اللص ويسرق مالنا. وعندما نقيم الجدارن الأربعة ونكملها مقدِّمين تضحيات مطلوبة تُوصَد جميع الطرق في وجه السارق.

فنحن بحاجة لنقطع اليوم عهدا بأننا سنضحي برغباتنا الشخصية، وبرغبات أهلنا وأولادنا وسنسعى جاهدين لتقديم كل تضحية تؤدي إلى تقوية جدران إصلاح أعمالنا أكثر فأكثر، ولن ننهزم أمام العدو في هذا المجال ولن نخجل، ولن نسمح للسارق أن يدخل بيتنا ويضرنا، ندعو الله تعالى أن يوفقنا لذلك، آمين.